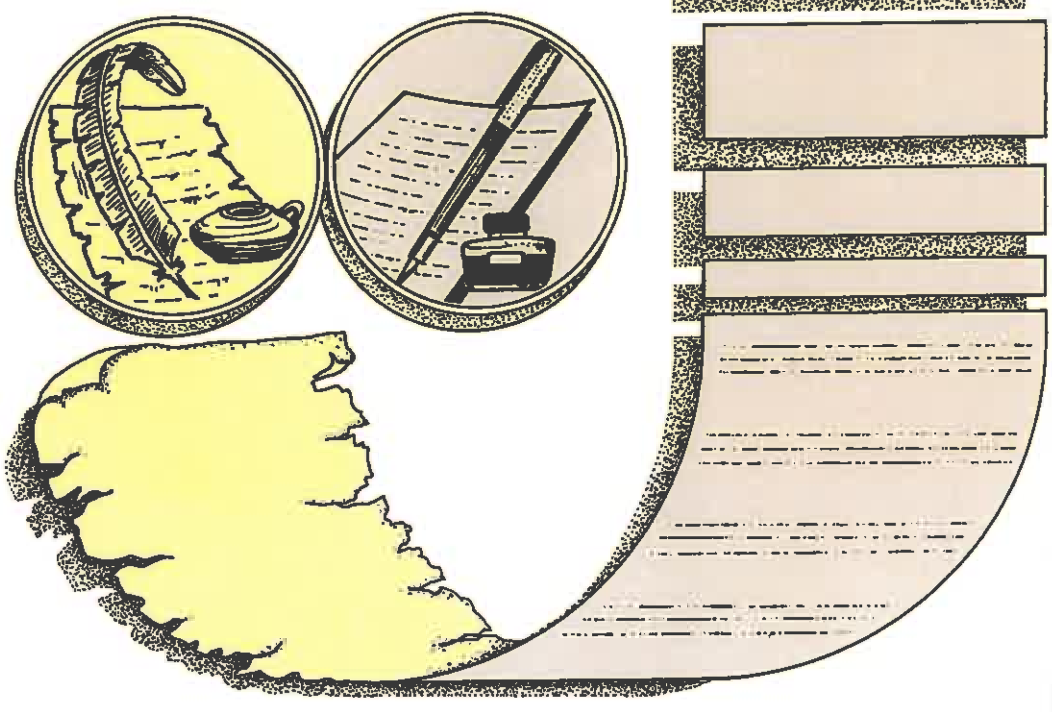
القسم التاريخي

٢

الموسوعة الميسرة للتراث العماني

جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار

تقديم علمي معاصر لخلاصة كتب التراث العماني



تأليف

الشيخ سعيد بن علي المغيري

القسم التاريخي

الجـــزء الثاني

جهينـــة الأخبـــار
فى تاريـــخ زنجبـــار

تـأليـــف
الشيخ سعيد بن على المغيرى
عرض ودراسة
الدكتور عبد الرحمن أحمد سالم
الإشراف العلمي
الدكتور / أحمد درويش

كلمة صاحب السمو

السيد

فيصل بن علي بن فيصل آل سعيد

وزير التراث القومي والثقافة

باسم الله وعلى بركته منه، تشرف وزارة التراث القومي والثقافة برعاية المرحلة الثانية من مراحل المشروع الحضاري الكبير الذي يهدف إلى إحياء التراث العماني. لقد بدأت المرحلة الأولى مع فجر عصر النهضة المباركة التي أطلت على عمان منذ ربع قرن، ومن خلال هذه المرحلة خرجت مئات المؤلفات في علوم الفقه والتفسير والحديث والتاريخ والأدب، والطب والفلك وعلوم البحار وغيرها من فروع المعرفة الإنسانية، خرجت من صناديق المخطوطات العامة أو الخاصة، إلى أيدي القراء جميعاً، واحتفل بها العلماء في أرجاء العالم العربي والإسلامي وأفادوا منها في بحوثهم واستفادوا.

واليوم ومع هذه المرحلة الثانية نطمح إلى أن تمتد الفائدة والاستيعاب إلى مستوى القارئ العام غير المتخصص، من خلال هذا العرض العلمي الذي قام به نخبة من العلماء المتخصصين، فأعادوا صياغة الأفكار التي احتوتها هذه المؤلفات بلغة عصرية مبسطة تحافظ على الجوهر وتجاوز بالقارئ المعاصر بعض عقبات التطور اللغوي وتخفف عنه بعض التفصيلات التي يهتم بها القارئ المتخصص. ونحن إذ نتقدم بالشكر للعلماء الأجلاء الذين أسهموا في هذا العمل الجليل نأمل أن تكون هذه المرحلة بداية لتفاعل القارئ العربي مع تراثه حتى لا يكون التراث مجرد ذكرى نعتز بها، وإنما يتحول إلى ضوء كاشف يتفاعل مع حاضرنا ويساعد على تنوير مستقبلنا.

والله من وراء القصد

فيصل بن علي بن فيصل آل سعيد

وزير التراث القومي والثقافة

الهيئة العلمية للموسوعة

الإشراف والتنسيق

الدكتور أحمد درويش

أستاذ البلاغة والنقد الأدبي والأدب المقارن بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة

تحرير المادة العلمية

١ ـ د. محمد بلتاجي حسن : عميد كلية دار العلوم ، رئيس المركز الإسلامي لجامعة القاهرة.

٢ ـ د. حامد طاهر : وكيل كلية دار العلوم ، ورئيس قسم الفلسفة الاسلامية بالكلية.

٣ ـ د. حسن الشافعي : عضو مجمع اللغة العربية ، ونائب رئيس الجامعة الإسلامية بباكستان سابقا.

٤ ـ د. محمد سراج : رئيس قسم الشريعة بكلية الحقوق ـ جامعة الاسكندرية

٥ ـ د. علي عشري زايد : رئيس قسم البلاغة والنقد الأدبي بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة.

٦ ـ د. زين العابدين متولي : رئيس قسم الفلك ، بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة.

٧ ـ د. نبيل غنايم : رئيس قسم العلوم الإسلامية بكلية دار الغلوم جامعة القاهرة.

تمت مراجعة الكتاب من قبل لجنـة مراجعـة المخطـوطات

برئاسة سماحة الشيخ احمد بن حمد الخليلي

المفتي العام للسلطنة

نبذة عن حياة مؤلف كتاب جهينة الأخبار

هو الشيخ سعيد بن علي بن جمعة بن سعيد بن علي بن مسعود المغيري، ولد بسلطنة عُمان في بلدة فلج المشايخ التابعة لولاية جعلان بني بو حسن وذلك سنة ١٣٠٠ هـ، فنشأ بها وترعرع في رعاية جده العلامة جمعة بن سعيد المغيري[١].

فلما شب على الطوق وامتطى حصان الشباب أرسله جده لشرق أفريقيا، فنزل بالجزيرة الخضراء عند ابن عمه الشيخ محمد بن جمعة المغيري الساكن شكشك، فبقي عنده الى أو وافى ابن عمه الأجل المحتوم بعد سنتين من وصوله (١٣٢٥هـ).

فعند ذلك نظر الشيخ سعيد المغيري فيما حوله، فرأى البلاد جزيرة ذات مواني بحرية تجارية، والجزيرة خضراء قد توشحت بوشاح زراعة القرنفل والنارجيل، فرمى خلف ظهره الكسل، وشحذ سواعد الهمة منخرطا في كسب لعيش الحلال، مقاوماً في نفسه الاتكالية على الغير، فبزغ نجمه في الجزيرة الخضراء ـ بعد فترة ليست بطويلة ـ بين مزارعي شجرة القرنفل وتجارها، فغدا لسان حالهم، والناطق باسمهم، والناظر لمصالحهم لما عرف في هذا الرجل من الصلاح والحنكة السياسية، فكان سفير عامة الشعب لدى الحكومة وذلك لقربه من السلطة الحاكمة.

وفي عام ١٣٥١ هـ عينته الحكومة عضوا في المجلس التشريعي بزنجبار، فحظي باحترام أعضاء المجلس فكان لآرائه السديدة محل القبول من نفوسهم والتأييد المشترك لها، فقويت عزيمته فعارض بشدة مشروع اجتثاث ستين ألف قورة قرنفل بسبب موتها، فأيدته الحكومة على ذلك، وسعى الشيخ سعيد المغيري على فتح باب المتاجرة بين جزيرة بمبا وتنجانيقا بعد أن كان مسدوداً مدة أربعين عاماً، فكان لعمله ذلك الأثر الطيب في انتعاش التجارة.

---

(١) راجع مقدمة كتاب «جهينة الأخبار» ص ٢٤

بسم الله الرحمن الرحيم

ـ مقدمة حول الكتاب والكاتب :

لم يحظ تاريخ المسلمين في أفريقيا غير العربية، أو أفريقيا السوداء، بما يستحقه من اهتمام وعناية من الباحثين العرب مع أنه جزء من صميم التاريخ الإسلامي. إن الإسلام الذي انتشر في أرجاء القارة الأفريقية ووطد وجوده هناك بحاجة إلى من يشرح لنا كيف ومتى انتشر، وما إنجازاته في هذه البقاع، وما الصعوبات التي يواجهها، وما السبيل إلى التغلب عليها . . كل ذلك لأن تاريخ الإسلام في أفريقيا - كما ذكرنا - هو جزء من تاريخ الأمة الإسلامية ينبغي أن نلتفت إليه ونكشف غوامضه .

ولاشك أن الكتاب الذي نعرضه الآن - وهو كتاب (جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار) يمثل محاولة جديرة بالاعتبار لسد بعض الفراغ في جانب مهم من جوانب التاريخ الإسلامي في أفريقيا وذلك هو الدور الذي قام به العرب العمانيون في دعم الوجود العربي والإسلامي في شرق أفريقيا .

ولابد من أن نشير - بداية - إلى أن عنوان الكتاب قد يوحي إلى القارىء - للوهلة الأولى - أنه مخصص لتاريخ زنجبار التي تكوّن الآن مع تنجانيقا ما يُعرَف باسم «تنزانيا» . لكن الواقع أن الكتاب يَمثل تاريخاً للوجود العربي في شرق أفريقيا لا زنجبار فقط . أما لماذا خص المؤلف زنجبار بالذكر في العنوان فلأنها - على حد تعبيره - «العاصمة الملوكية لإفريقية الشرقية منذ عهد السلطان السيد سعيد بن سلطان بن الإمام أحمد ابن سعيد البوسعيدي»(١) ولأنها أيضاً كانت مركزاً مهما في عهد الاستعمار البرتغالي ثم في عهد دولة اليعاربة العمانيين في شرق أفريقيا .

ومؤلف الكتاب هو الشيخ سعيد بن على بن جمعة بن سعيد بن على بن مسعود المغيري، كان مولده بعُمان في سنة ١٣٠٠هـ (١٨٨٣م) في «فلج المشايخ» بناحية جعلان . وقد هاجر من عمان إلى الجزيرة الخضراء «بمبا» بشرق أفريقيا في سنة ١٣٢٣هـ (١٩٠٥م) وتعاظم جاهه ونفوذه هناك، وأصبح من كبار مزارعي القرنفل. وقد عينته حكومة زنجبار عضواً في

(١) جهينة الأخبار : ص٥٥ .

نعتبره لـب الكتـاب وصميمـه . وقد تحدث فيـه عـن الاستعمار البرتغـالي لشرق أفريقيا، ثم عن قيام دولة اليعـاربة العمانيين ، ثم ظهور قوة المزاريع ثم قيام دولة البـوسعيديين في زنجبار حيث تقصى أخبار أئمـة هذه الدولة إلى عهد السلطان عبد اللـه بن خليفة بن حارب الذي تـولى الحكم في سنة ١٩٦٠م.

أما الباب الـرابع والأخير - وهو يقع في أربعة فصول - فقـد تناول فيه عدة موضوعات يأتي على رأسها قيام الحرب العالمية الثانية وتطوراتها ومالها من انعكاسات على شرق أفريقيا ، وتحدث فيه أيضاً عن علاقة عرب عمان وزنجبار بجـزر القمر، وعن تجارة الـرقيق في شرق أفـريقيا ثم عـن التأثير الأوروبي في تطور الحياة الاجتماعية هناك.

ولما كان تناول المؤلـف لموضوعاته يتسـم بالتداخل في كثير مـن الأحيان فسيكون منهجنـا هنا أن نقـدم عرضا وافيـاً لأهـم مـاجاء بهذا الكتـاب من قضـايا وأفكـار دون التقيد بحرفية ترتيب الأبواب والفصول .

ـ الهدف من تأليف كتاب : جهينة الأخبار :

يذكر المؤلف في مقدمة كتابه أن الهدف من تأليف هذا الكتاب هو الإلمام بتاريخ شرق أفريقيا والجزر المنفصلة عنها، وتقديم سير الملوك الذين سادوا في تلك المنطقة، سواء أكانوا عـرباً أم غير عرب. ولكن الحقيقة أن المؤلف يصرف جل اهتمامه للعرب العمانيين الذين مـارسوا النفوذ هناك أو كان لهم دور بارز في أنشطة الحياة المختلفة .

ـ أهم مصادر الكتاب :

سجل المؤلف حقيقة مؤسفة في مقدمة «جهينة الأخبار» وهي أن العرب - على الرغم من احتكاكهم الطويل بشرق أفريقيا وتاريخهم الحافل بالأمجاد فيها - لم يُعْنَوْا بكتابـة تاريخ تلك المنطقة ولا بتسجيل مآثـرهم فيها. وهنا تبرز الصعوبـة الحقيقية التـي يواجههـا المؤرخ العربي المسلـم حين يريـد أن يسجل تاريخاً أميناً لشرق أفريقيا والوجود العربي بها، فإنه لايكاد يجد أمامه مـن المصادر إلا مـا كتبـه الأوروبيون الـذيـن جـاسوا خـلال تلـك الديـار

وكـان المصريون القـدمـاء أول مـن وضع أسـاس علـم الجغـرافيا، ولكـن اليونانيين تـوسعوا في هذا المجال، وخاصة زمـن الإسكندر الأكبر المقدوني الذي كانـت له فتوحاته المشهـورة في آسيا وأفريقيا. وقـد أرسل الإسكندر حملات استكشافية للمحيط الهنـدي والخليـج. وتوسـع الرومانيون، بعد اليونانيين، في هذا الجانب وشجعتهم على ذلك فتوحاتهم العديدة في أوروبا وأفريقيا وآسيا.

أما التاريـخ الوسيط، كما يعرض المؤلـف، فإنه يبدأ بظهـور الإسلام في القرن السـابع الميـلادي وينتهي بفتـح القسطنطينية على يـد الأتراك في سنـة ١٤٥٣م. فهـذه الحقبـة إذن تمثـل في معظمهـا عصر السيـادة العـربيـة الإسلاميـة، وهي الحقبة التي أصبـح العرب والمسلمون فيها قـادة العالم، ليس على المستوى العسكري فحسب، بـل على المستوى الحضاري كذلك. وقد قدم المسلمون خلال تلـك الفترة كثيراً من الأعمال الجغرافية العظيمة، ومـن بينها أعمال المسعـودي والشريف الإدريسي وابـن الوردي وأبي الفـدا ويـاقوت الحمـوي وابن بطـوطـة وغيرهم. كما كـان للمسلمين إسهامـاتهم الـرائدة في مجال الرحـلات حيـث جـاب رحالـوهـم بـلاد العالم المعـروف حينذاك، وكـانت لهم في أفـريقيا جـولاتهم المشهورة. فقـد وصلوا إلى نهر النيجر والسنغـال وشواطيء شرق أفريقيـا وموزمبيق وغير ذلـك، فمهدوا بذلك السبيـل أمام الاكتشافات الجغرافيـة الكبرى في القرنين الخامس عشر والسادس عشر على يد البرتغاليين والإسبان.

ولكن الأمر الذي قد لايلتفت إليه الكثيرون - والذي نبه إليه المؤلف - أن العـرب العمانيين سبقـوا المكتشفين الأوروبيين في ارتيـاد مجاهـل القـارة الأفريقيـة، وقد أسسوا في أعماقها مـراكز سلطة كما سيشرح المؤلف بمـزيد من التفصيل بعد ذلك، ولكنهم - بكل أسف - لم يسجلوا اكتشافاتهم على خرائط ولم يدونوها تدويناً تاريخياً، وهو النقص الذي استكمله الأوروبيون بعد ذلك.

والجدير بالذكر هنا - كما يشير المؤلف - أن العلاقة بين العرب العمانيين

جديرة بأن تُسمى «بستان إفريقية الشرقية» لخضرتها وجمال منظر أريافها(١).

ورغم أن العرب العمانيين قد بدأوا هجرتهم إلى زنجبار منذ القرن الأول لميلاد السيد المسيح فإن كثافة هـذه الهجرة زادت بصورة ملحوظة في عهد السيد سعيد بن سلطان (١٨٠٤ - ١٨٥٦م). ومن مآثر السيد سعيد أنه هو الذي أدخل شجرة القرنفل إلى زنجبار والجزيرة الخضراء. وقد ارتبط بهذه الشجرة رخاء اقتصادي وازدهار عمراني. وينتمي أكثر العرب المهاجرين في تلك الفترة إلى جماعة الحرث بفروعها المختلفة، وهم إباضية، ولاشك أن الفضل في حركة العمران الهائلة التي شهدتها زنجبار في تلك الفترة يرجع إلى العرب العمانيين ؛ فقد زينوا زنجبار بالمساجد والقصور، وقد أسهم معهم بعض الإسهام في هذه النهضة العمرانية الحضارمة والهنود.

ويؤكد المؤلف أن زنجبار لم تحظ بما حظيت به من مكانة ولم تنعم بذلك التطور الهائل الذي جعل منها عاصمة شرق أفريقيا إلا بعد جلاء البرتغاليين عنها (أي في أواخر القرن السابع عشر الميلادي حين طردهم اليعاربة كما سوف نوضح). ولكن هجرة العرب العمانيين إليها بأعداد كبيرة في القرن التاسع عشر الميلادي خلال عهد السيد سعيد بن سلطان أضافت مجداً إلى مجدها وجعلتها تدخل عالم الصيت والشهرة.

- الجزيرة الخضراء :

أما الجزيرة الخضراء فهي التي تعرف باسم بمبا Pemba عند الأفريقيين وفي المراجع الأوروبية. وهي تقع على بعد ٣٢ ميلاً شمالي زنجبار. والجزيرة الخضراء - كما يشير اسمها - تتمتع بخضرة أراضيها وكثرة أمطارها وطيب هوائها، وهي ذات تلال تكسوها الخضرة وتزدان بالمناظر الطبيعية الخلابة والجو المشرق. وكانت الجزيرة الخضراء في عهد دولتي اليعاربة والمزاريع من أعمال ممباسة (مومباسا)، فلما تغلب السيد سعيد بن سلطان على المزاريع جعل الجزيرة الخضراء خاضعة لزنجبار، وجعل من

---

(١) جهينة الأخبار، ص٧٦.

وهناك بلـدة مواجهة لبلـدة كلوة كسواني تعـرف باسم «كلـوة كفنجة». وهي أحدث عهداً في عمرانها من كلوة كسواني حيث عمرت في أوائل دولة البوسعيديين، كما أنها أوسع أرضاً وأصلح للزراعة، فكلوة كسواني جزيرة صغيرة يخترقها النظـر من أولها إلى آخرهـا ولايزيـد طولها على ثلاثـة أميال وأرضها حجـرية، ولكنهـا حافلة بـالآثار الإسلاميـة من حصـون وقصور ومساجد. أما آثار كلوة كفنجة فهي حديثة ترجع إلى الدولة البوسعيدية. وقد زار المؤلف كلوة كسواني وكلوة كفنجـة وأعجب بآثارهما. وهو يحدثنا أنـه رأى قلعـة كبيرة في كلـوة كسواني تشبه في بنائها قـلاع عمان وقد نقش على بـابها «نصر من اللـه وفتح قـريـب» وتاريـخ هـذا النقش هـو الثالـث والعشرون من شهر المحرم سنة ٨٦١هـ.

ويستنتج المؤلـف مما رآه مـن آثار كلوة كسـواني أن العرب هـم أول من اتخذ هذه الجزيرة عاصمة. وآثار الشيرازيين في كلوة تعتبر آثاراً عربية، لأن الشيرازيين - كما سبق القول - كانوا يحكمون كلوة باسم العباسيين.

- ممباسة :

تستأثر ممباسة بكثير من اهتمام المؤلف؛ وهـي بلدة على ساحل كينيا تقع شمالي زنجبار. وقـد سيطر على ممبـاسة الأمـراء الملينديـون (نسبة إلى بلـدة مليندي في كينيا، وسيأتي الحديث عنها). وكانـت ممباسة تعرف قديماً باسم «غنغوبـاء» وأحيانـاً باسم «أمفيـت». والمعروف أن البرتغـاليين هم الـذين أطلقـوا على ممبـاسـة هـذا الاسـم تخليـداً لاسـم أحـد قـادتهم. وقـد اتخذ البرتغاليون من ممباسة عاصمة لأملاكهم في شرق أفريقيا.

- دار السلام :

لم تحمـل دار السلام (عـاصمة تنـزانيـا الحالية) هـذا الاسم إلا في عهـد السلطان ماجـد بن سعيد البوسعيـدي (١٨٥٦ - ١٨٧٠م) الذي اختار لها اسماً ذا دلالات إسلامية خالصة. وقد كانت بلـدة «بواغا مويو» التي تبعد عن دار السلام ٤٥ ميلاً مركزاً مهماً للتجـارة العربية في شرق أفريقيا لقرب هذه البلدة مـن زنجبار، ولكن بواغا مـويو اضمحلت مع الـزمن وانتقلت

الذين عمروها كانوا من عرب الحجاز فأطلقوا عليها اسم «جدة» فحرفها السواحيليون إلى غيدة. ويأسف المؤلف لعدم وجود أخبار كافية لدينا عن غيدة وتاريخها وأمرائها والأجناس التي استوطنتها؛ وهو يعزو ذلك إلى عدم وجود المؤرخ الكفء الذي كان بوسعه أن يقدم تاريخاً وافياً عنها، أو لعل ذلك راجع إلى ضياع الكتابات التاريخية المتعلقة بها.

وهناك مركز مهم أيضاً يقع إلى شمال مليندي، وهو بلدة «أنغو ميني» الساحلية ذات الآثار العربية. وهناك أيضاً «بتة» التي تقع بين أنغوميني ومقديشيو، وقد كانت خاضعة لحكم سلاطين آل نبهان العمانيين، وثارت على البرتغاليين ثورة عاصفة في سنة ١٠٤١هـ بمعاونة ممباسة وحكامها المناذرة العمانيين.

ويستنتج المؤلف أن العرب العمانيين كان لهم وجود قوي في شرق أفريقيا منذ أوائل العهد الإسلامي، والدليل على ذلك أنه لما أخضع الحجاج بن يوسف الثقفي عمان في صدر الخلافة الأموية - وكانت عندئذ تحت سيطرة سعيد وسليمان ابني الجُلَنْدى - فرّ هذان من عمان إلى بلاد الزنج، أي شرق أفريقيا، ويروي أن سعيداً وسليمان ماتا بزنجبار.

وبعد أن تنتهي جولة المؤلف حول العلاقة القديمة بين العرب وشرق أفريقيا، وحول أهم المدن والبقاع في تلك المنطقة الأفريقية يبدأ حديثه عن حقبة مهمة في تاريخ شرق أفريقيا وهي حقبة الاستعمار البرتغالي وما ارتبط به من ظهور قوة اليعاربة العمانيين.

ـ الاستعمار البرتغالى لشرق أفريقيا ونهايته على يد اليعاربة العمانيين:

كان ابتداء ظهور البرتغاليين على سواحل شرق أفريقيا في سنة ١٤٩٤م بقيادة المستكشف المشهور فاسكودي جاما. ومع ذلك لم يُخضع البرتغاليون سواحل شرق أفريقيا والجزر المحيطة بها إلا في القرن السادس عشر الميلادي حيث امتد سلطانهم في شرق أفريقيا حتى موزمبيق. وكانت ممباسة (في كينيا) هي عاصمة مستعمراتهم في أفريقية الشرقية.

وقد جهز الإمام سلطان بن سيف اليعربي في سنة ١٦٦٠م أسطولاً قوياً لمحاربة البرتغاليين استجابة لنداء أهالي ممباسة، واستطاع هذا الإمام أن يفتح ممباسة بعد حصار طويل. وقد كان فتح ممباسة بداية لزعزعة الوجود البرتغالي في شرق أفريقيا.

ولكن البرتغاليين نجحوا في إعادة السيطرة على ممباسة، بل نجحوا في السيطرة على مدينة مسقط عاصمة عمان وعلى أغلب السواحل العمانية. وقد استطاع سيف بن سلطان الملقب بـ (قيد الأرض) - وهو ابن الإمام سلطان بن سيف - أن يستعيد مسقط من البرتغاليين وأن يجليهم عن عمان وأن يطاردهم في البحر، كما استطاع أن يستعيد منهم بتة وممباسة وكلوة وزنجبار والجزيرة الخضراء، وأن يجليهم إلى حدود تانغة جنوباً.

ـ من هم اليعاربة العمانيون ؟

نظراً للدور الكبير الذي قام به اليعاربة العمانيون في دحر الاستعمار البرتغالي من شرق أفريقيا وفي التمكين للوجود العربي هناك، ونظراً لمآثرهم في عمان، يخصص لهم المؤلف جانباً من كتابه يتحدث فيه عن نشأة هذه الأسرة العريقة وتطورها وأمجادها التاريخية.

ـ والأئمة اليعاربة في عمان تسعة :

فأولهم ومؤسس أسرتهم هو الإمام الأرشد ناصر بن مرشد بن مالك بن أبي العرب. وقد تولى الإمامة بمدينة الرستاق في منطقة الحجر الغربي بعمان في سنة ١٠٢٤هـ / ١٦١٥م، وكان في العشرين من عمره، ومات في سنة ١٠٥٠هـ / ١٦٤٠م ، ولم يعقب إلا ابنة واحدة.

وثاني اليعاربة هو سلطان بن سيف بن مالك بن أبي العرب الذي تولى سنة ١٠٥٠هـ/ ١٦٤٠م، ومات -على أرجح الأقوال- في سنة ١٠٩١هـ/ ١٦٨٠م.[1] وهو ابن عم الإمام الأرشد ناصر بن مرشد. وكان سلطان بن سيف إماماً عادلاً ومجاهداً في الله، حارب البرتغاليين وأجلاهم من مسقط ومن عمان كلها وتتبعهم إلى الهند وغنم منهم مغانم جزيلة[2] ،

(١) هناك رواية تذكر أنه توفي في سنة ١٠٥٩هـ / ١٦٤٩م، وهي رواية ضعيفة.

(٢) نجح البرتغاليون في استرداد ما فتحه سلطان بن سيف، فتمكن سيف بن سلطان بعد ذلك من القضاء على نفوذ البرتغاليين كما سنبين.

وبعد وفاة سلطـان الثاني في سنة ١١٣١هـ تعاقـب على حكم عمان حتى سقوط دولـة اليعاربـة أربعة أئمـة هم على التـوالي: يعرب بـن بلعرب بـن سلطان بـن سيف بن مالـك، ثم سيف بـن سلطان الثاني، وهو سيـف بن سلطان بن سيـف بن سلطان بن مالـك، ثم بلعرب بن حمير بـن سيف بن سلطان بن مالك، ثم سلطان بن مرشد بن عدي، وهو آخر اليعاربة.

وهناك روايـة تذكـر أن آخر اليعـاربة هـو بلعرب بـن حمير الذي انتهـى حكمه في سنة ١١٦٧هـ/ ١٧٥٣ - ١٧٥٤م .

ومهما يكن من أمر فـإن أيام هؤلاء الأئمة اليعاربة الـذين خلفوا سلطان الثاني كـانت أيام فتـن داخلية وحـروب بين أهل عمان ، الأمر الـذي أتاح الفرصة لتدخل الفرس في الشئون الداخلية لعمان.

والجديـر بالـذكـر أن ممبـاسة كـانـت عاصمـة أفـريقيـا الشرقية في عهـد اليعاربة، فقد كانت إذن مقر الوالي الرئيسي الذي يعينه سلطان مسقط.

ـ دولة المزاريع في شرق أفريقيا :

عندمـا ضعفت قـوة اليعاربـة في المرحلة الأخيرة لـدولتهم - كما بينـا - عرض الإمام سيف بن سلطان الثاني على المزاريع ولاية شرق أفريقيا مقابل مبلغ معلوم من المال كل سنة يؤديه المزاريع لليعاربة .

والمزاريع (أو المزارعـة) إحدي الأسر العمانية المشهـورة ممن هـاجروا إلى شرق أفريقيـا وأصبح لهم نفـوذ متزايـد هناك، وعلى الأخـص في ممباسـة، وكان أول وال مزروعي في شرق أفريقيا هو :

ـ محمد بن عثمان المزروعي :

وقد كـان مقره ممبـاسة، فكـان والياً عليهـا وعلى متعلقاتها. وقـد تسلم ولايتها في سنة ١١٦٣هــ/ ١٧٥٠م. وهكذا كان محمد بـن عثمان المزروعي يحكم شرق أفـريقيا باسـم أسرة اليعاربـة في عمان ، وكان إمامهـم في ذلك الوقت سيف بن سلطان الثاني كما أسلفنا.

ولكـن سرعان مـا انتقلت الإمـامة في عمان مـن أسرة اليعاربـة إلى أسرة

وقد استطاع أحمد بن سعيد أن يستولي على زنجبار بعد انتقال الإمامة إليه. وقد توفي عن سبعة ذكور هم : هلال وقيس وسعيد وسيف وسلطان وطالب ومحمد؛ وعن ثلاث بنات ، وابنه سلطان هو أبو ملوك عمان وزنجبار .

ـ السيد سعيد بن سلطان وتحويل ديوان الحكومة من عمُان إلى زنجبار ١٨٤٣م:

لاشك أن الذي قام بالعبء الأكبر في دعم دولة البوسعيديين في شرق أفريقيا وفي توسيع حدودها وفي تعزيز مجد العرب العمانيين هناك هو السيد سعيد بن سلطان بن أحمد بن سعيد، وقد كان السيد سعيد بن سلطان – كما يقول المؤلف – «في الطبقة الأولى والطراز الأول من أبناء عمان في الإدارة وعظيم الهمة وبعد الصيت في كل تاريخ آسيا العربية»[1] وقد تولى الحكم في شعبان سنة ١٢١٩هـ (ديسمبر ١٨٠٤م) وتوفي في صفر سنة ١٢٧٣هـ (أكتوبر ١٨٥٦م) .

وللسيد سعيد بن سلطان مآثر جليلة جديرة بأن تخلد اسمه في التاريخ، فهو يعتبر مؤسس زنجبار. وقد قام بدور عظيم في محاربة تجارة الرقيق. وهو الذي أدخل زراعة شجرة القرنفل في زنجبار والجزيرة الخضراء بكل ما كان لذلك من أثر في الازدهار الاقتصادي بهاتين الجزيرتين. وهو الذي قضى على الفتن والقلاقل في عمان وأخمد الثورات بها، كما كانت له اليد الطولى في تثبيت أقدام البوسعيديين في شرق أفريقيا وفي القضاء النهائي على ثورات المزاريع ، وكان ذلك في سنة ١٢٥٢هـ / ١٨٣٧م كما سبق القول. وقد استطاع أن يستولي من المزاريع على قلعة ممباسة مقر حكمهم . وفي عهده أيضًا تمت رحلة السفينة سلطانة إلى نيويورك وتعتبر هذه الرحلة من أهم مآثره في إقامة العلاقات العربية الأمريكية في وقت تاريخي مبكر .

والسيد سعيد بن سلطان هو أول من اتخذ زنجبار مقراً ووطناً وعاصمة

---

(١) جهينة الأخبار : ص ٢٣٣.

ومما يأسف له المؤلف كذلك أن هؤلاء العرب المستكشفين لم يقوموا بجهد مماثل في نشر الدين الإسلامي والثقافة الإسلامية بين الأفريقيين في المناطق التي احتكوا بها، ولو أنهم قاموا بهذا الجهد لسيطر الإسلام سيطرة كاملة هناك ولما كان هنا مجال للمبشرين لممارسة نشاطهم .

ولابد من أن نشير هنا إلى أن إقامة السيد سعيد بن سلطان في جزيرة زنجبار وإدارته من هناك للممالك الأفريقية لم تشغله إطلاقاً عن إدارة مملكته العربية العمانية، فقد كان يتردد بين عمان وزنجبار، وكان دائم الاهتمام والمتابعة لكل مايجري هنا وهناك .

وقد كانت للسيد سعيد صلات ودية بملوك أوروبا، وكان يتبادل معهم الهدايا. ومما يذكر بهذا الصدد أن الملكة فيكتوريا ملكة بريطانيا أهدت إليه آنية شاي من الفضة المموهة بالذهب، فسر بها السيد سعيد سروراً عظيماً ولكنه لم يستعملها لأن استعمال آنية الذهب والفضة ممنوع شرعاً. وهذا يدل على مدى تمسكه بأهداب الدين وبعده عن البذخ والإسراف.

توفي السيد سعيد بن سلطان في صفر ١٢٧٣هـ / أكتوبر ١٨٥٦م وهو على متن سفينته فيكتوريا أثناء عودته من عمان إلى زنجبار ، ودفن بزنجبار التي اختارها وطناً له .

ـ اهتمام أوروبا عامة، وبريطانيا خاصة، بشرق أفريقيا بعد موت السيد سعيد بن سلطان :

دخل تاريخ زنجبار وشرق أفريقيا في عصر جديد بموت السيد سعيد بن سلطان؛ فقد تنبهت أوروبا إلى أهمية أفريقيا بعد الاكتشافات الكبيرة للمستكشف البريطاني لفنجستون، فقد كانت أوروبا حتى ذلك التاريخ تعتبر أفريقيا أرضاً مواتاً، ولكن بعد اكتشافات لفنجستون أدركت أوروبا عامة وبريطانيا خاصة أهمية شرق أفريقيا. وقد زاد من هذه الأهمية افتتاح قناة السويس في سنة ١٨٦٩م.

وقد بدأ الأوروبيون عموماً - والإنجليز بصفة خاصة - يعقدون

وكانت قوافل العرب التجارية تتردد على طول الساحل الأفريقي وفي داخل أفريقيا للبيع والشراء. ولم تكن شجرة القرنفل معروفة في شرق أفريقيا قبل عهد السيد سعيد بن سلطان بل كانت توجد في الهند وسيلان وموريشيوس ومدغشقر. ولكنهم في هذه البقاع لم يكونوا يولونها اهتماماً لأنها لم تكن مطلوبة هناك .

وعندما فكر السيد سعيد بن سلطان في زراعة القرنفل نصحه الأوروبيون والأمريكيون المقيمون في زنجبار ألا يفعل ذلك وأشاروا عليه بتوجيه مزيد من الاهتمام لقصب السكر ولكنه لم يلتفت لنصيحتهم، وصمم على زراعة القرنفل، وجلب البذور من جزيرة موريشيوس سنة ١٢٤٣هـ (١٨٢٧م). وقد زرعه أولاً في زنجبار ثم في الجزيرة الخضراء، فكان فاتحة خير وبركة على أهل هاتين الجزيرتين ونجح نجاحاً منقطع النظير .

- **ولاية السيد ماجد بن سعيد بن سلطان على شرق أفريقيا :**

تولى السيد ماجد بن سعيد بن سلطان بن الإمام أحمد بن سعيد زمام الحكم في زنجبار خلفاً لأبيه في غرة ربيع الأول ١٢٧٣هـ (١٨٥٦م) وتوفي في رجب ١٢٨٧هـ (١٨٧٠م).

وقد سار سيرة أبيه في اللين والرفق بالرعية وفي الحرص على أموال الدولة وتجنب مظاهر البذخ والإسراف .

وخلف ماجد بن سعيد ابنة واحدة اسمها (خنفورة) ولم يعقب ذكوراً.

- **النزاع بين ماجد بن سعيد وأخيه ثويني، وانفصال زنجبار عن عمان :**

عين السيد سعيد بن سلطان ابنه الأكبر ثويني بن سعيد سلطاناً على عمان، وابنه الثاني ماجد بن سعيد سلطاناً على زنجبار، فكان استخلاف هذين بداية لانفصال زنجبار عن عمان انفصالاً دائماً .

وقد تسلم ثويني بن سعيد مسئوليات ولايته في عمان قبل وفاة أبيه، وحيث إنه كان الابن الأكبر فقد اعتبر زنجبار داخلة في حقوق ميراثه من أبيه .

ـ الفتنة بين ماجد بن سعيد وأخيه برغش (أو ثورة مارسيل) :

كان برغش بن سعيد يكيد لأخيه ماجد منذ توليه العرش، وكانت تسانده في ذلك جماعة الحرث. وقد تدهورت العلاقة بين الأخوين إلى حد المواجهة المسلحة بينهما فيما عرف باسم «ثورة مارسيل»[1] والمعروف أن برغش كان ذا ميول فرنسية وكان يتبنى مصالح فرنسا في المنطقة، ومن هنا وجد منها كل التأييد والعون. أما ماجد فقد كان يجد العون من الإنجليز. وهكذا يمكن القول إن الصدام بين ماجد بن سعيد وأخيه برغش كان صداماً بين المصالح الإنجليزية والفرنسية في زنجبار.

وقد تآمر برغش بن سعيد لاغتيال أخيه ماجد وفشلت المؤامرة، فلجأ برغش إلى قنصل فرنسا طلباً للحماية وخوفاً من بطش أخيه، ثم اختفى بين المزارع وجمع حوله جموعاً من العرب والأفارقة وأخذ في تحصين سراي مارسيل استعداداً لمواجهة حاسمة بينه وبين أخيه ماجد.

وهكذا اضطر ماجد بن سعيد أن يهاجم سراي مارسيل، وكان ذلك في سنة ١٢٧٦هـ (١٨٥٩م)، واستعان في هجومه بالإنجليز الذين أمدوه بالضباط والمدافع، واستطاع ماجد بهذا العون أن يخمد ثورة مارسيل وأن يهدم كثيراً من سراي برغش، وقد قُتل في هذه المعركة من أتباع برغش خمسون نفراً. ونتيجة لهزيمة برغش مُني نفوذ الفرنسيين في شرق أفريقيا بنكسة بالغة وازداد نفوذ الإنجليز رسوخاً.

وفي أعقاب فشل هذه الثورة نفى السيد ماجد بن سعيد أخاه برغشاً إلى الهند، وذلك بعد أن تعهد برغش بالكف عن التآمر ضد أخيه أو الخروج على طاعته، وحضر هذا التعهد وشهد عليه القنصل الإنجليزي وأعيان العرب وأقسم برغش على الوفاء به.

وبعد إقامة برغش بن سعيد في منفاه في بومباي بالهند ثمانية عشر شهراً عفا عنه أخوه ماجد وسمح له بالعودة إلى زنجبار، فعاد بعد أن حنكته التجارب وصقلته الحوادث.

---

(١) مارسيل اسم مزرعة تقع إلى الشرق من زنجبار وتبعد عنها سبعة أميال، وهي من أملاك برغش بن سعيد، وكان بها قصره، والتسمية نفسها تشير إلى ميول برغش الفرنسية ..

أفريقيا ما بين سنتي ١٢٥٠هـ و ١٢٧٠هـ (١٨٣٤-١٨٥٤م)- أي في عهد سعيد بن سلطان كما أشرنا - أساسا مهما أتاح للسائحين الأوروبيين تحقيق مزيد من الاكتشافات الخطيرة التي شهدها العالم في قارة أفريقيا منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي .

وقد شهد عهد ماجد بن سعيد اكتشافات أوروبية بارزة في هذا المجال كان أهمها - من غير شك - تلك التي قام بها المستكشفان البريطانيان ريتشارد بيرتون **Richard Burton** وجون سبيك **John Speke** في سنة ١٨٥٧م. وقد وصلا في سنة ١٨٥٨م إلى بحيرة تنجانيقا. ولكن بيرتون مرض أثناء تلك الرحلة فواصل سبيك السير حتى وصل إلى فيكتوريا نيانزا **Victoria Nyanza** أو بحيرة فيكتوريا **Lake Victoria** واكتشف منابع النيل، وقد وجد بيرتون وسبيك أثناء رحلتهما في مجاهل أفريقيا كل عون ومساعدة من العرب المقيمين هناك، بل إن القارب الذي اجتازا به بحيرة تنجانيقا كان قارباً عربياً .

- **ولاية السيد برغش بن سعيد بن سلطان على شرق أفريقيا :**

تولى برغش بن سعيد بن سلطان بن الإمام أحمد بن سعيد عرش زنجبار في رجب سنة ١٢٨٧هـ -١٨٧٠م) عقب وفاة أخيه ماجد، وتوفي بالباخرة في شهر رجب أيضاً سنة ١٣٠٥هـ (١٨٨٨م) أثناء عودته من عمان إلى زنجبار، ودفن بجوار أبيه وأخيه في زنجبار .

وقد كان برغش بن سعيد - كما يذكر المؤلف - «آخر سلاطين زنجبار اسماً ومعنى»(١) ؛ فقد كان شديد الهيبة، وكان من أفراد الملوك في علو الهمة وقوة الإرادة وحسن السيرة. كما كان شغوفاً بالعلم والعلماء، فقرب العلماء وأكرم جانبهم، وكان في الوقت نفسه مثالاً للانضباط وحسن استغلال الوقت .

ومما يروى في ذلك أنه قسم يومه بين تلاوة القرآن الكريم ودراسة العلوم الدينية والنظر في شئون المملكة والنظر في حاجاته الخاصة والنظر في الشكايات ومطالب ذوي الحاجات والنظر في القضايا المهمة . وقد خصص

(١) جهينة الأخبار، ص ٣٢٧.

ـ مؤتمر بروكسل وازدياد المطامع الأوروبية في شرق أفريقيا في عهد برغش ابن سعيد :

شهد عهد السلطان برغش تحولاً خطيراً في مسار الاهتمامات الأوروبية بشرق أفريقيا. فقد ذكرنا آنفاً أن الاكتشافات الأوروبية في قارة أفريقيا بلغت مبلغاً عظيماً في عهد السلطان ماجد بن سعيد . وقد قُدّر لهذه الاكتشافات أن تلفت أنظار الأوروبيين إلى ما ينطوي عليه مستقبلَ القارة الأفريقية بالنسبة لهم على المستوى الاقتصادي والعسكري. وقد بدأت هذه الاهتمامات الأوروبية بأفريقيا تعبر عن نفسها بصورة واضحة في عهد السلطان برغش بن سعيد، وخاصة إثر عقد مؤتمر بروكسل سنة ١٨٧٦م.

ففي العام المذكور دعا ملك بلجيكا أقطاب الدول الأوروبية إلى مؤتمر عقد في العاصمة بروكسل، وذلك للتباحث في شأن دور أوروبا المستقبلي في أفريقيا .

ولاشك أن هذا المؤتمر كان وراء تقسيم أفريقيا بين الدول الأوروبية. وقد سيطرت بلجيكا على الكونغو وصاغت لها اسما هو : مملكة الكونغو الحرة . وكانت زنجبار والساحل الأفريقي كله من نصيب الاستعمار البريطاني. ثم تم الاتفاق بعد ذلك (في نوفمبر سنة ١٨٨٦م) على تقسيم مناطق النفوذ في شرق أفريقيا بين بريطانيا وفرنسا وألمانيا. وكان لبريطانيا نصيب الأسد من أقسام هذه المملكة الممزقة .

ـ المعاهدة بين بريطانيا وبرغش بن سعيد بشأن إبطال تجارة الرقيق :

في ٩ ربيع الأول ١٢٩٠هـ (٥ يونيو ١٨٧٣م) عقدت بريطانيا مع برغش بن سعيد معاهدة تقضي بإبطال تجارة الرقيق في جميع أنحاء بلاده إبطالاً تاماً. وتنص المعاهدة على منع جلب الرقيق إلى البلاد الواقعة تحت سلطان برغش بن سعيد أو إرسالهم إلى بلاد أجنبية؛ وكل سفينة تحمل رقيقاً من زنجبار وممالكها إلى بلاد أجنبية بعد تاريخ المعاهدة تضبط ويعاقب ربانها. وقد تعهد برغش بناء على هذه المعاهدة أن يغلق جميع أسواق الرقيق في مملكته وأن يحمي الرقيق المعتقين .

كتب كتاباً لقبطان السفينة المصرية يقر فيه أنه ترك مركب الخديوي عن طيب خاطر.

وعندما أُبْلِغَ الخديوي إسماعيل بالقصة استشاط غضباً واعتبر أن ماحدث يمثلَ إهانة موجهة من برغش بن سعيد لحكومة مصر لأنه نزل من السفينة المصرية قبل أن يصل إلى بلاده. ومن هنا أعد الخديوي جيشاً وجهه إلى شرق أفريقيا واستطاع أن يستولي على بنادر الصومال التي كانت خاضعة في ذلك الوقت لحكومة زنجبار، واستمرت هذه البنادر تحت الإدارة المصرية مدة عامين، ثم تدخلت الدولة البريطانية من أجل سحب الجيش المصري من الصومال فاستجاب الخديوي لذلك.

ـ مرض برغش بن سعيد ووفاته (١٨٨٨م):

مرض برغش بداء السل، ثم ذهب إلى عمان للاستشفاء عندما قيل له إن بها عين ماء ينبع منها ماء حار يشفي من اغتسل به من هذا الداء. فلما لم يبرأ برغش باستحمامه في هذه العين عاد إلى زنجبار، ولكن المرض اشتد عليه وهو في طريق العودة فتوفي على متن سفينته البخارية في ١٤ رجب سنة ١٣٠٥هـ (١٨٨٨م) ودفن بزنجبار، وخلف ابنا هو خالد بن برغش.

ـ سلاطين زنجبار منذ وفاة برغش بن سعيد إلى ولاية خليفة بن حارب ١٣٠٥ - ١٣٢٩هـ / ١٨٨٨ - ١٩١١م:

تولى عرش زنجبار خلال هذه الفترة خمسة سلاطين هم على الترتيب:

١ - خليفة بن سعيد بن سلطان: ١٣٠٥ - ١٣٠٧هـ / ١٨٨٨ - ١٨٩٠م

٢ - على بن سعيد بن سلطان: ١٣٠٧-١٣١٠هـ/ ١٨٩٠-١٨٩٣م

٣ - حمد بن ثويني بن سعيد: ١٣١٠-١٣١٤هـ/ ١٨٩٣-١٨٩٦م

٤ - حمود بن محمد بن سعيد: ١٣١٤-١٣٢٠هـ/ ١٨٩٦-١٩٠٢م

٥ - على بن حمود بن محمد: ١٣٢٠-١٣٢٩هـ/ ١٩٠٢-١٩١١م

بحمايتها.

وقد اختار الإنجليز حمود بن محمد بن سعيد سلطانا على زنجبار بعدما أخذوا عليه العهود والمواثيق ألا يخون الدولة البريطانية . وكان ذلك في نفس اليوم الذي دارت فيه معركة القصر وهو السابع عشر من ربيع الأول سنة ١٣١٤ هـ.

والجدير بالذكر هنا أن الذي أغرى خالد بن برغش بإعلان نفسه ملكا على زنجبار هو السلطان السابق حمد بن ثويني بن سعيد . يروي شاهد عيان أن حمد بن ثويني - وهو على فراش الموت - استدعي خالد بن برغش وطلب منه ألايتأخر بعد وفاته عن الارتقاء على عرش زنجبار ، وأوعز إلى قائد جيشه ، واسمه صالح الأنجزيجي ، أن يعاضد خالد بن برغش ويطيع أوامره .

وقد كان الجنود الزنجباريون وسائر حاشية القصر في صف خالد بن برغش ، مما أغراه أن يقف في وجه الإنجليز وأن يجاهرهم بالعداء.

أما عن مصير خالد بن برغش بعد هزيمته فإنه لجأ إلى السفارة الألمانية كما ذكرنا ، وذهب إلى دار السلام في حماية الألمان ؛ فقد كانت دار السلام في ذلك الوقت تحت السيطرة الألمانية . ولما هزم الألمان في الحرب العالمية الأولي واستولى الإنجليز على دار السلام نُفي خالد بن برغش إلى سانت هيلانة في سنة ١٩١٧م ثم إلى جزيرة سيشيل ، ثم إلى ممباسة ، وظل فيها إلى أن توفي في رمضان سنة ١٣٤٥هـ(١٩٢٧م) .

والمعروف أن خالد بن برغش كان محبوبا من العرب والسواحلية في زنجبار والجزيرة الخضراء وكان الجميع هناك يتمنون أن يؤول الملك إليه.

هكذا ارتقى حمود بن محمد بن سعيد العرش على حراب الإنجليز في سنة ١٨٩٦ م ، فكان من الطبيعي أن يزيد نفوذ الإنجليز في عهده زيادة غير مسبوقة . ومن أبرز ما ينبغي تسجيله خلال حكم حمود بن محمد بن سعيد أن استخدام الرقيق والاتجار بهم انتهى نهاية تامة من شرق أفريقيا.

(١٨٨٠م). وقد ظل في عمان حتى تولى عمه حمد بن ثويني بن سعيد عرش زنجبار في سنة١٣١٠هـ(١٨٩٣م) فاستدعاه من عمان إلى زنجبار واستدعى معه أفراد أسرته وأسبغ عليهم كل مظاهر الحفاوة والتكريم .

ولما توفي حمد بن ثويني سنة ١٣١٤ هـ (١٨٩٦م) وتولى حمود بن محمد لقي منه خليفة بن حارب ما لقيه من سلفه من الحفاوة والتكريم . وإمعانا في الحفاوة به زوّجه ابنته معتوقة (وهي التي أنجب منها خليفة بن حارب ولي عهده عبد الله) . وعندما ارتقى على بن حمود العرش خلفا لأبيه حمود ابن محمد زاد في إكرام خليفة بن حارب ، بل إنه أنابه عنه في حضور حفل تتويج الملك جورج الخامس ملك بريطانيا وامبراطور الهند في سنة ١٩١١ م كما ذكرنا سابقا . وعندما تنازل على بن حمود عن عرش زنجبار اختار الإنجليز خليفة بن حارب خلفا له، فتولى السلطنة في ديسمبر سنة ١٩١١م.

ـ صفات خليفة بن حارب وأعماله الإصلاحية :

كان خليفة بن حارب بشوشا طلق الوجه، مثقفا يحسن الكلام بالإنجليزيَة ، ذا رأي صائب وفكر ثاقب ، وكان جمّ التواضع ، لايأنف من مقابلة الفقير الأعمى والأعرج ورث الثياب ،كما كان يفتح بابه لذوي الحاجات ولا يضنُ عليهم بمساعدة . وكان جوادا كثير الصدقات ، وفارسا مولعا بركوب الخيل وممارسة الرياضات المختلفة .

وقد تحقق في عهد خليفة بن حارب كثير من الإصلاحات والإنجازات . فمن ذلك تمهيد طرق الأرياف بالحصى تسهيلا للانتقال ونقل المحاصيل الزراعية إلى الأماكن المختلفة بالبلاد. ومن ذلك أيضا مدّ الخدمات الطبية إلى الأرياف وإنشاء ميناء مليندي في عام ١٣٤٨هـ (١٩٢٩ م) ، وإنشاء المدراس الجديدة في مختلف أنحاء البلاد . والجدير بالذكر أن عهده شهد إنشاء أول مدرسة للبنات بزنجبار . وقد لقي إنشاء هذه المدرسة معارضة من المحافظين الذين رأوا فيها سببا في تحول النساء من الطبائع العربية إلى الطبائع الأوروبية .

قدر استطاعتها . كما قام خليفة بن حارب بالدعاية لصالح بريطانيا في جميع أنحاء شرق أفريقيا ، وكان في أثناء هذه الدعايه يحضّ رعاياه على التمسك بالولاء للتاج البريطاني . وقد وجه خليفة بن حارب انتقاده لتركيا لأنها وقفت في صف ألمانيا في هذه الحرب . ولم تسلم زنجبار من الاكتواء بنار الحرب العالمية الأولى؛ ففي سبتمبر سنة ١٩١٤م هاجمت إحدى المدرعات الألمانية مدرعة إنجليزية راسية في زنجبار وتحطمت المدرعة الإنجليزية وقتل من ضباطها مائة نفس .

وقد استمرت الحرب العالمية الأولى أربع سنين كان النصر فيها لبريطانيا وحلفائها. وعندما اندلعت الحرب العالمية الثانية في سنة ١٩٣٩م بادر السلطان خليفة بن حارب بإرسال برقية إلى الملك جورج السادس ملك بريطانيا، بتاريخ ١٨ ديسمبر سنة١٩٣٩م ، يعبر فيها عن تأييد مملكته لبريطانيا في هذه الحرب. وقد رد الملك جورج السادس على هذه البرقية معبرا عن تقديره للدور الذي لعبته زنجبار في الحرب العالمية الأولى؛ والدور الذي أبدت استعدادها للقيام به في الحرب الثانية.

وقد كان النصر في البداية - كما هو معروف - في صف ألمانيا ودول المحور، واستسلمت فرنسا لألمانيا ، وتوالت الغارات الألمانية على لندن. وفي نوفمبر عام ١٩٤٠م (شوال ١٣٥٩ هـ) جاء إلى زنجبار ودار السلام وجميع المستعمرات الإنجليزية في شرق أفريقيا قنصل فرنسا في نيروبي وأمر بإنزال العلم الفرنسي حيث وجد في هذه البقاع !

ولكن الموازين بدأت تميل لصالح بريطانيا والحلفاء بعد فترة قصيرة. وقد انعكس ذلك على الوضع في شرق أفريقيا ؛ فقد استطاعت بريطانيا أن تستولي على جميع مستعمرات إيطاليا في شرق أفريقيا في سنة ١٩٤١م، وأهمها الصومال والحبشة. وقد تولى الإمبراطور هيلاسلاسي زمام الحكم في الحبشة في ذلك الوقت.

وقد طلبت الحكومة البريطانية في هذه الأثناء من رعايا حكومة زنجبار وشرق أفريقيا معونة مالية تقدرعلى حسب طاقة كل فرد.

ثـم أعلنت قيـادة الحلفـاء انتهاء الحرب مـع اليـابان في الشرق الأقصـى واستسلام اليابـان نهائيا ، بدون قيد أو شرط ، في أغسطـس سنة ١٩٤٥م (رمضان ١٣٦٤هـ) وبهذا التاريخ وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها .

وقد كـان لهزيمة دول المحـور صدى عظيم مـن الفرح والبهجـة في كل البلاد المرتبطة بالحلفاء . ولاشك أن سقوط برلين على يد الحلفاء في ٣مايو سنة ١٩٤٥م كان لـه تأثيره الخاص ، فقد كانـت برلين عاصمة الـدكتاتور هتلر . وقـد شاركت شرق أفريقيـا في مظاهر السرور والغبطة التـي عمت أرجاء البلاد الموالية للحلفاء . ويتحدث المؤلف عن هذه المظاهر في الجزيرة الخضراء التي كان يقيم فيها .

- ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق :

في ثنايا حـديث المؤلف عن تطـورات الحرب العالمية الثانيـة يتناول ثـورة عراقية مشهورة كانت لها صلـة بهذه الحرب وهي ثورة رشيد عالي الكيلاني رئيس وزراء العراق . وسبب هذه الثورة أن بـريطانيا أرادت أن تجعل من العراق مسرحا لعمليـاتها الحربية ، ولكن الكيلاني رفـض ذلك على أساس أن المعاهدة بين بـريطانيا والعراق تبيح لبريطانيـا المرور في الأراضي العراقية لإبقاء قـواتهم فيها . وقـد تكتل الشعب العـراقي وراء زعيمـه الكيلاني ، ولكنَ المواجهة البريطانية العراقية انتهـت باحتلال بريطانيا للعراق وبهروب أعضاء وزارته والأمير شريف الذي كـان وصيا على العرش بدلا من الأمير عبـد الإلـه . وقد لجأ هـؤلاء إلى بـرلين حيـث قـوبلـوا بكل حفـاوة مـن السلطـات الألمانيـة، وكـان معهم السيـد أمين الحسيني الـذي اشترك مـع الكيـلاني في هـذه الثـورة . أمـا الأمير عبد الإلـه ونـوري السعيـد وجميـل المدفعي وغيرهم فقد التجأوا إلى البصرة وانضموا إلى حليفتهم بريطانيا .

بعد أن أخمدت بـريطانيا هذه الثـورة أعادت الأمير عبد الإلـه وصيا على العرش، وألفت وزارة تحت رئاسة جميـل المدفعي، واستتب الأمر لبريطانيا في العـراق.

وقد أقام رشيد الكيلاني في ألمانيـا حتى وضعت الحرب أوزارها وانتهت

ـ ولاية عبد الله بن خليفة بن حارب وظهور الفتن في أوائل عهده :

تولى السيد عبد الله بن خليفة بن حارب عرش زنجبار في ١٧ أكتوبر سنة ١٩٦٠م . وكان السلطان خليفة بن حارب قد أصدر مرسوما ملكيا في مايو سنة ١٩٢٩م بتعيين الأمير عبد الله بن خليفة وليا للعهد . وقد حدث في أوائل عهد عبد الله بن خليفة (سنة ١٩٦١ م) أن دخلت زنجبار في عهد جديد من الفوضى والفتن وسفك الدماء . فقد ظهر حزب يُسمى حزب «أفروشيرازي» قام بقتل العديد من العرب العمانيين والحضارم في زنجبار ، دون تمييز في جرائمه بين الرجال والشيوخ والنساء والأطفال .

ـ المقارنة بين العصر القديم والجديد في شرق أفريقيا :

يتحدث المؤلف في آخر فصول الباب الرابع والأخير من كتابه عن تطور العادات الاجتماعية في شرق أفريقيا منذ فترة شبابه المبكر إلى شيخوخته . فهو يعني بالعصر القديم إذن مطلع شبابه . وقد وصل المؤلف من عمان إلى شرق أفريقيا في سنة ١٣٢٣هـ (١٩٠٥م) ، ثم هو يعقد هذه المقارنة في سنة ١٣٧٥هـ (١٩٥٥م) كما ذكر في كتابه .

يشبّه المؤلف شرق أفريقيا إبان قوة النفوذ العربي في القديم ببغداد في عصر هارون الرشيد والبرامكة. وهو يرى أن عادات الأجناس المختلفة في شرق أفريقيا كانت أكثر وضوحا وتميزا في العهد القديم . فلم يكن المرء ليجد صعوبة في التعرف على كل جنس من هيئة أبنائه وسَمْتِهم . أما العصر الجديد فقد اختلطت فيه الأجناس وعزّ التمييز بينها .

وهناك سمة أخرى كانت واضحة في العهد القديم وهي روح المحافظة؛ أما العصر الجديد فقد ضعفت هذه الروح كثيراً .

ويعرب الشيخ سعيد المغيري عن أسفه البالغ لما شاع بين شباب عصره من تفرنج ، ولما انتشر بينهم من مسكرات ، ولما تفشى فيهم من عادات أوروبية جعلتهم ينبذون عاداتهم العربية. وهو يقول في ذلك - والأسى يملأ جوانحه- « وأدب العرب وطباعهم وعاداتهم تشهد لها تواريخ

دَوْرهـمْ في إنشـاء المدن وبناء المراكـز العلميـة وازدهـار التجارة والـزراعـة والأرتقاء بالمستـوى الإنساني لسكان شرق أفريقيا . ومـن أجل ذلك يعتبر الكتاب مصدرا أصيلا في إبراز الدور الحضاري للعرب في شرق أفريقيا .

٣- والكتاب - ثـالثا - يستخدم الأسلـوب التاريخي الصحيـح باعتماده على الوثائق فيما يعرضه من أحداث وقضايـا ؛ فقد جاء حافلا بالمراسلات والمعاهدت وخطـابات التولية والافتتـاح وما إلى ذلك مما يُعَـدُّ أداة لا غنى عنها للمتصـدي لكتابة التـاريخ على أصوله المقـررة . وقدكان هـذا المنهج واضحا بصفة خاصة في عرض المؤلف لفترة حكم البوسعيديين . فمن بين هذه الوثـائق مثلا مجموعة مهمـة من الرسائل مـوجهة من السيد سعيـد بن سلطان إلى أهالي ممباسـة تشير كلها إلى ما كان يتمتع به أكابـر أهالي ممباسة وزعماؤهم من معاملة كريمة على يد السيد سعيد بن سلطان[١] .

ومنهـا أيضاً وثيقـة جاءت في صـورة مكاتبـة بين أحد المخـاديم (وهـم السكان الأصليون لشرق أفـريقيا المعروفون باسـم السواحيليين) وبين أحد العرب . ويصف المؤلف هذه الوثيقة بقوله : «وجدناها وتكاد من البلى أن تتمزق» وهـي تفيد سماح أحـد العرب لأحد المخـاديم وأولاده بـاستخدام مزرعـة هذا العربي وسكناهـم فيها دون أن يكون لهم فيها «ملـك ولا حق ولا دعـوى» وقد جـرت هذه المكـاتبة في عهـد السيد سعيـد بن سلطـان، ويستنتج منهـا المؤلف أنـه «لو لم يكن للمخـاديم يـومئذ صـوت يسمع إذا التجأوا للشرع أو أنهم غير مزاحمين للعرب لما حاذر هذا العربي منهم حتى أخذ منهم ذلك الصك»[٢] . وتبرز أيضا في هذا السياق تلك المعاهدة التي وقعتها الدولة البريطـانية في عام ١٨٧٣م مع السيد برغـش بن سعيد بشأن إبطال تجارة الـرقيق في جميع أنحـاء بلاده[٣] . ومن الـوثائق المهمة كـذلك رسالـة السيد خليفـة بن حارب إلى ملـك بريطانيـا بمناسبـة اندلاع الحرب العالمية الثانية ، وهي التي يعرب فيها عن تأييد بلاده التام لبريطانيا في هذه

(١) انظر جهينة الأخبار، ص ٢٣٩ ـ ٢٤٤.

(٢) جهينة الأخبار ، ص ٢٨٣ .

(٣) انظر نص المعاهدة في ص ٣٥٦ - ٣٥٧ من نفس المصدر .

٥- وأخيراً فإن المؤلف لم يكن مجرد راوية للأخبار أو راصد للأحداث ولكنه مارس في كثير من الأحيان دور الناقد والمحلل والموجه . يتضح ذلك مثلا في تردده في قبوله بعض الروايات التي جاءت في كتاب «السلوة في أخبار كلوة» بخصوص الطريقة التي امتد بها نفوذ الشيرازيين في القرن الثالث الهجري إلى كلوة، ويرى أن بعض هذه الروايات «لا يقبلها القياس المعروض على العقل السليم»(١) كما ينتقد عدم اهتمام الذين اكتشفوا أواسط أفريقيا بتدوين تجاربهم ومشاهداتهم، وهو يذكر في هذا السياق أنه «لو دوّن العرب كل ما شاهدوه ووقفوا عليه وما نالوه في حال اكتشافهم لأواسط أفريقية لكنا اليوم ندرسه ونقصه على أولادنا ونعلمهم إياه ونتجمل به في المجلس ونزداد به دراية وعقلا وبصيرة في جميع أمورنا، لأن الهمة العالية التي بذلها العرب لجديرة حقا أن تكتب مأثرها وأخبارها بماء الذهب على صفحات اللجين»(٢) هو يعبر عن شديد أسفه أيضا لأن العرب في شرق أفريقيا لم يهتموا الاهتمام الكافي بنشر الإسلام في هذه البقعة منذ رسوخ أقدامهم فيها ، ويذكر أن العرب لو فعلوا ذلك « لكان البر متنورا بنور الإسلام»(٣) ولأصبح الأفارقة كلهم في ذلك الصقع مسلمين ولفشل المبشرون في التنصير كما ينتقد المؤلف بشدة مظاهر الأبهة والترف التي أحاط بها السيد برغش بن سعيد نفسه ، واعتناءه «بجميع أسباب الراحة الفانية» ، وما ترتب على ذلك من إجحاف بالرعية في فرض الضرائب ؛ وهو يري أنه كان أولى ببرغش بن سعيد أن يتجه إلى إنشاء « إدارة علوم عربية ودينية لتثقيف الناشئة بالعلوم والصناعات »(٤) ؛ فذلك في رأي المؤلف أبقى للأمة نفعا وأدوم ذكراً له .

فهذه هي أهم الاعتبارت التي تفسح لكتاب «جهينة الأخبار» مكانا مرموقا في المكتبة العربية التي تؤرخ للجهد العماني في شرق إفريقيا .

* * *

---

(١) نفس المصدر ، ص ١٣٤ – ١٣٥ .
(٢) جهينة الأخبار ، ص ٢٤٨ .
(٣) نفس المصدر والصفحة .
(٤) نفس المصدر ، ص ٣٥٢ .

ومن أمثلة ذلك أيضا قول المؤلف في معرض حديثه عن تدهور أحوال العرب المادية في زنجبار والجزيرة الخضراء بعد تحرير الرقيق : «وهذه التقلبات كانت في دولة السيد حمود بن محمد . وإن ما تدارك من أملاك العرب والإفريقيين بهاتين الجزيرتين عن انتقالها إلى غيرهم هو التفات نظر الحكومة إلى عمل قوانين من منع بيع العرب والإفريقيين أملاكهم في الدين فتعرقلت أسباب المتداينة على المتاجرين»(١). ويبدو من السياق أن المؤلف يريد أن يقول إن تدهور المستوي الاقتصادي للعرب والأفريقيين في زنجبار والجزيرة الخضراء أدى بهم إلى الاستدانة من التجار والهنود ، وكانوا يتنازلون عن أملاكهم لهؤلاء التجار سداداً للدين، ولكن الحكومة سنت قانونا بمنع ذلك فأنقذت بذلك أملاك العرب والأفريقيين . والعبارة كما يبدو (وخاصة في جزئها الأخير) لا تؤدي هذا المعنى بوضوح . وهذه مجرد أمثلة لما يشوب عبارة المؤلف من الاضطراب في عدد من المواضع .

أما الأخطاء في المقابلة بين التواريخ الهجرية والميلادية فهي عديدة ، ونكتفي منها هنا ببعض الأمثلة : فيذكر المؤلف عند حديثه عن كلوة أنها وصلت ذروة الازدهار في القرن الثامن للهجرة والحادي عشر للميلاد(٢) ٩٢٠ ولكن المعروف أن القرن الثامن للهجرة يقابل القرن الرابع عشر للميلاد .

وعند حديثه عن دولة السيد سعيد بن سلطان يذكر أنه «تولى المملكة في شهر شعبان سنة ١٢١٩هـ الموافقة لسنة ١٧٩١م»(٣) ولكن الصحيح أن سنة ١٢١٩هـ توافقها سنة ١٨٠٤م .

ويتحدث عن الصلح بين ثويني بن سعيد وأخيه ماجد بن سعيد فيذكر أنه تم في سنة ١٨٦٧م الموافقة لسنة ١٢٧٤هـ(٤) والصحيح أن سنة ١٢٧٤هـ التي عقد فيها الصلح توافق سنة ١٨٥٧م .

---

(١) جهينة الأخبار ، ص ٥٣٩ .

(٢) نفس المصدر ، ص ١٣٧ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٢٣٣ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٢٨٧ .

فيه بعض الهنات التي يمكن التغلب على آثارها ببذل مزيد من الجهد في التحقيق . وهذا ما نود أن نشير إليه الآن .

ثالثا : ملاحظات على تحقيق الكتاب

لابد من التنويه هنا بالطبعة الأنيقة المحققة لكتاب «جهينة الأخبار» . ومع تقديرنا لمدى الجهد الذي بُذل في التحقيق فإن القيمة العلمية المتميزة للكتاب تجعلنا نقترح أن توضع الملاحظات التالية في الاعتبار عند إعداد الطبعة القادمة .

١- تصويب ماجاء في الكتاب من أخطاء تاريخية (إما بإجراء ذلك في الهامش أو المتن مع ضرورة الإشارة في الهامش إلى أصل العبارة قبل التعديل) فمثلا يذكر الكتاب أن العصور الوسطى تبدأ بظهور الإسلام في سنة ٦٣٧م وتنتهي بسقوط القسطنطينية في سنة ١٤٥٣م[١] . ولكن المعروف أن بعثة الرسول ﷺ كانت في سنة ٦١٠م ، فهذا هو تاريخ ظهور الإسلام ؛ وكانت هجرته في سنة ٦٢٢م ووفاته في سنة ٦٣٢م وكل هذه التواريخ سابقة للتاريخ الذي طرحه المؤلف وهو ٦٣٧م ويذكر أيضاً أن بريطانيا احتلت مصر سنة ١٨٩٧م[٢] ، مع أن التاريخ الصحيح هو ١٨٨٢م ومما يذكره كذلك أن الملكة إليزابيث الثانية (الملكة الحالية لبريطانيا) تولت العرش سنة ١٩٥٣م بعد وفاة أبيها الملك جورج السادس[٣] مع أن التاريخ الصحيح هو ١٩٥٢م . . . إلى غير ذلك من الأخطاء . ولا ينبغي بحال أن تمر هذه الأخطاء دون الإشارة إليها وتصويبها .

٢- إجراء مراجعة شاملة للمقابلات الواردة في الكتاب بين التواريخ الهجرية والميلادية للتأكد من صحتها نظرا لتكرار الأخطاء فيها . وقد أشرنا إلى بعض ذلك فيما مضى .

---

(١) نفس المصدر ، ص ٣٨٠ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٥٩ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٤١٨ .

أولاً : فهرس الأعلام

(أ)

* * *

(ب)

(د)

(ر)

(ص)

(ط)

(غ)

(ف)

(ق)

(ي)

* * *

* * *

الموضـــــــــوع	الصفحة
	١٣٢

هذه الموسوعة

تميز تراث الثقافة الإسلامية العربية في عُمان بنهم واضح الى معرفة تعلماً وتعليماً، وتمثل ذلك منذ العقود الأولى للإسلام في سعي أهل عُمان في شوق نحو منابع العلم البعيدة يرتوون منها، وإستقبال الناس في ظمأ «لحملة العلم» يتعلمون منهم ويدونون عنهم.

ثم انتشرت حركة التأليف بين العلماء العمانيين في مختلف فروع التصنيف كالفقه والتفسير والحديث والتاريخ وعلوم اللغة والفلك والطب، وتركوا في هذه المجالات جميعاً إسهامات قيمة في آلاف المخطوطات، طبعت عدة مئات منها بداية عهد النهضة في السبعينات، وتميز كثير منها بكبر الحجم وغزارة المعرفة.

وسعياً لتقريب مضامين هذه الكتب القيمة إلى القارىء المعاصر، يعكف فريق من صفوة المتخصصين في الجامعات العربية على إعادة قراءتها وتقديم خلاصة فحواها للقارىء المعاصر، بأسلوب يتلاءم وثقافة العصر الحديث ويحرص على نقل جوهر الفكر التراثي وصقله وجلائه ويغري بالعودة إليه.وهذا الجهد تنتظمه «الموسوعة الميسرة للتراث العماني» في عدة أجزاء من بينها هذا الكتاب.

○ ○ ○ ○ ○

الطبعة الأولى

١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م

المطابع العالمية - روي - سلطنة عمان